الزواج العرفي
أسبابه– مشروعيته – علاجه

د / محمد عبد النبي يوسف
مدرس بقسم اللغة العربية بكلية الاداب- جامعة العريش

مقدمة :

الحمد الله الذي(خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأنثى* مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ * وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأخرى * وَأَنَّهُ هُوَ أغنى وأقنى) والصلاة والسلام علي سيدنا محمد " " ، القائل :- ((الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة)) وعلي آله وصحبه ومن اقتدى بهدية واستن بسنته واقتفى أثره إلي يوم الدين ،

وبـــعد

فمن الأمور الإجتماعية التي ظهرت مؤخراً ما أطلق عليه ((الزواج العرفي)) حيث نشأت هذه الكلمة بعد أن ظهر التوثيق في القسائم لدي المأذون ،،،

فالزواج في العصور الأولي كان بالإيجاب والقبول والشهود والإعلام ودفع الصداق ،،، ولم يكن هناك ورق يوثق لأن الضمائر حية والنفوس طيبة والهمم عالية .

ومما لا شك فيه أن الأسرة هي البنية الإنسانية والاجتماعية الأساسية التي تكون المجتمع والأمة، فالأمة تتكون من مجموعة أسر يرتبط بعضها ببعض، ومن الطبيعي أن البناء الإجتماعي المكون من لبنات يأخذ ما لهذه اللبنات من قوة أو ضعف، فكلما كانت اللبنات قوية ذات تماسك ومناعة كانت الأمة المكونة منها كذلك قوية ذات تماسك ومناعة وكلما كانت اللبنات ذات ضعف وانحلال كانت الآمة كذلك ذات ضعف وانحلال (١) .

ومن هنا كانت العناية بتقوية الأسرة ، ومن أهم ما يجب علي المصلحين رعايته وأخذ الطريق إليه ولا يكون ذلك إلا بتوفر المبادئ القوية التي يبني عليها صرح الأسرةوتضمن بقاءها ونموها، قوية مثمرة ثم بقوة الهيمنة علي تلك المبادئ ومراقبة تنفيذها.

إذا كانت الأسر لبنة من لبناتالأمة ، فالزواج هوأصل الأسرة به تتكون ومنه تنمو.

ومن هنا أيضاً:- يأخذ الزواج نفس العناية التي تأخذها الأسرة إن لم تكن أقوي وأشد ولا نعرف ديناً من الأديان السماوية إلا وكان للزواج فيه المكان الأول مما يستدعي العناية والإحترام، وكذلك لا

(١) الإسلام عقيدة وشريعة صـــ ١٤١ .

تعرف أمة من الأمم التي تعرف قيمة الحياة إلا وكان الزواج لديها آخذاً تلك المكانة من العناية والإهتمام، وليس ذلك فقط لأن الزواج أصل الأسرة ، بل لأنه أيضاً مما يدعون إليه الفطرة وتقضي به الطبيعة.

((ولما كان الزواج هو الطريق الوحيد لتكوين الأسرة وضع الإسلام له القواعد والضوابط والروابط التي تحقق الهدف منه والسلامة للمجتمع، والزواج ظاهرة من ظواهر التنظيم للغزيرة والفطرة التي أودعتالإنسان في لتؤتي ثمار الطبية من التعاطف والتآلف وحسن العشرة ومن البنين الحفدة))(١) .

فيقول الله عز وجل :- (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَات أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ)(٢)ومن منطلق هذه الآية الكريمة وفي ظل ما تواجهه مجتمعاتنا المعاصرة وفي ضوء ما يواجه شبابنا الإسلامي من تيارات عدائية وفي ظل تحديات القرن الحادي والعشرون كان الدافع لكتابتي هذا البحث المتواضع في ظل كثرة التساؤل في هذه الأيام عن((الزواج العرفي)) وحكمه الشرعي ،،، أحلال هو ام حرام؟ وماذا يترتب عليه من المشاكل والمتاعب في حياة الذين يقدمون علي هذا النوع من الزواج؟

وما هذا البحث المتواضع إلا تبيان لظاهرة الزواج العرفي التي انتشرت في العصر الحديث وما هذه الظاهرة إلا وبعد عن الشريعة الإسلامية السمحاء والدين القيم، فلماذا لا نرجع في حياتنا إلي سماحة الاسلامويسعد معنا الناس ، ففي منهج الله غايتنا ، وفي قرآنه ما يطمئن القلوب، ويهدي إلي الرشد، ويبشر المؤمنين،،،

وبعون الله وتوفيقه الذي أمدني بعونه لكتابة هذا البحث المتواضع في موضوع هو من أخطر موضوعات العصر فموضوع((الزواج العرفي)) هو بحق خطر يهدد شبابنا المسلم وخاصة شباب الجامعات.

(١) موقف الإسلام من تنظيم الأسرة : صـ ٩ .
(٢) سورة النحل آية : "٧٢" .

وفي ظل تحديات هذا القرن تتجلي ظاهرة الزواج العرفي بين الشباب والشابات والرجال والنساء ، هذا وقد قسمت بحثي بعد المقدمة التي اشرت فيها إلي أهمية الزواج في الإسلام وأهمية الأسرة في المجتمع الإسلامي إلي مبحثين.

وقد قسمت البحث إلي:-

المبحث الأول:- دعوة الإسلام للزواج والحكمة منه .

المبحث الثاني:- الزواج العرفي ... أسبابه ... مشروعيته . ... وعواقبه ومآسيه .. علاجه.

ثم خامته وبينت فيها رؤيتي الخاصة بالزواج العرفي وقد وضعت شيئاً من العلاج الإسلامي لهذه الظاهرة.

أدعو الله تعالي أن يتقبل مني هذا العمل المتواضع فإنه خالص لوجهه الكريم وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم العرض عليه، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

وصلي وسلم وبارك علي حبيبنا ومعلمنا

سيدنا محمد وعلي آله وصحبة أجمعين ،،،

المبحث الأول:

دعوة الإسلام للزواج والحكمة منه

الزواج بمعناه العام يفيد الإقتران أو الزوجية وهو سنة من سنن الحياة لأن الإنسان مدني بطبعه كما يقول علماء الاجتماع، وهو ذو نفس راقية وفيه من الميول والغرائز ما يجعله يهفو إلي الأنيس، ويطمئن الجليس ويصفوا بالمشاركة الوجدانية والعاطفية ، ولهذه المعاني قدر مشترك بين الذكر والأنثي، ومن لوازم وجود كل منهما، ومقتضي الفطرة التي فطر كل منهما عليها.

لذلك كان لزماً إلتئام كل منهما بالآخر لينعم بوجوده، ويبقي النوع الإنساني كما أراد الله ليتولى الخلافة في الأرض ويعمرها بالعمل والإصلاح.

وسوف أتعرض لأهمية الزواج باختصار بالنسبة للإسلام وللزواج أيضاً من نواحي متعددة وهي:-

الزواج ظاهرة لتنظيم الفطرة:

((وما الزواج في إلا واقعه ظاهرة من ظواهر التنظيم لفطرة أودعت في الإنسان كما أودعت في غيره من أنواع الحيوان، ولولا الزواج الذي هو تنظيم لتلك الفطرة المشتركة بين الإنسان والحيوان لتساوي الإنسان مع غيره من أنواع الحيوان في سبيل إشباع هذه الفطرة عن طريق الفوضى والشيوع وعندئذ لا يكون الإنسان ذلك المخلوق الذي سواه الله ونفخ فيه من روحه ثم منحه العقل والتفكير وفضله علي كثير ممن خلقه وسخر له عوالم كونه، ثم هيأ له مبادئ الروابط السامية التي يرتفع بها عن حضيض الحيوانية وتدعوه إلي التعاون مع بني نوعه في عمارة الكون وتدبير المصالح وتبادل المنافع))(١).

الزواج وسيلة الإنسان للبقاء:-

من الأمور البديهية في مبادئ الشريعة الإسلامية أن الشريعة جاءت بالرهبانية لكونها تتصادم مع فطرة الإنسان وتتعارض مع ميوله وأشواقه وغرائزه.

وإذا كان الوضع الإلهي للإنسان في هذه الحياة، وقيامه بمهمته التي وكلت إليه فيها يقضى تنظيم الفطرة الخاصة بالزواج، سموا به عن مراتع الحيوانية في تلبية هذه الفطرة، فإن الإنسان منهجه مطبوع علي حب البقاء، وإذا كان لا سبيل إلا بقائه بذاته، وكان يؤمن بذلك من مشاهداته، وضيع الله في آبائه وأجداده وسائر الأحياء، فإنه يري أن سبيله إلي البقاء إنما هو النسل المعروف نسبته إليه يراه إمتداداً في بقائه واستمراراً لذكراه ، وخلوداً لحياته.

((ومن هنا كان تنظيم الفطرة البشرية عن طريق الزواج وما يمنحنا منهن ومن بنين وحفدة، مع رزق الطيبات في عقد واحد، وهو صنيع يشعرنا بأن الحاجة إلي الأزواج، وتنظيم الحياة الزوجية يشعرنابأن كل ذلك ليست حاجتنا إليه بأقل من حاجتنا في حفظ حياتنا أو التمتع بلذائذ الحياة من حاجتنا إلي طيبات الرزق والتي تحفظ كياننا، وتكفينا منالتعرض للضعف والإنحلال))(٢) .

(١) الإسلام عقيدة وشريعة صـــ ١٤٢ .
(٢) منهج التربية في الإسلام . الشيخ محمد متولي الشعراوي صـــ ١٢ .

وإذا كان الإنسان محتاجاً في بقائه إلي أبنائه وأحفاده، وكان الزواج وحده هو السبيل إليهم ، فهو في راحته القلبية، وسكنه إلي القلب الذي يحتوي عليه، ويشاركه السراء والضراء، أشد حاجة من حاجته إلي هؤلاء الأحفاد الذي لا ينعم بهم إلا مع سكون القلب واطمئنان النفس وراحة الضمير، وإلي ذلك يشير قولة سبحانه وتعالي (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(١).

ولعل كل الذي نفرده في ثمرات الزواج من جانبي البقاء والمودة هو قرة العين التي أطلق الله لسان عباده المقربين بدعائهم إياه بها يقول الله عز وجل(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) (٢).

الزواج والتدريب علي تحمل المسئولية:-

إذا كان الزواج كما ذكرنا يقضي بتنظيم الفطرة الخاصة ، ويحقق للإنسان بواسطة النسل، البقاء المطبوع علي حبه ،فإنه من جهة ثالثة يهيئ له جو الشعور بالمسئوليات ويكون له درساً تدريبياً علي تحملها والقيام بأعبائها.

والإنسان لم يخلق في هذه الحياة لمجرد أن يأكل ويشرب ويعيش ثم يموت كما يموت غيره من سائر الأحياء، وإنما خلق ليفكر ويقدر ويدبر ويدير المصالح وينفع وينتفع.

إذن لابد أن يوجد في بيئة " تحضيرية " له فيها هيمنه، وله عليها قوامة، وله بها رباط، لا يستطيع بمقتضي الشعور بمكانة هذا الرباط في نفسه أن يتحلل منه أو يلقي به عن عاتقه، وفي جو هذه البيئة يتلقى عملياً الدرس النافع في تقوية نفسه وقلبه علي تحمل المسئوليات وبقدر ما تمتد هذه البيئة وتتسع دائرتها وتتشعب فروعها، وتكثر مطالبها تمتد مسئوليته ويعظم تدريبه. ويتسع لديه نطاق التفكير والنظر في التدبير والهيمنة، وبذلك يجد السبيل إلي ما يجب أن يشارك فيه من تحمل للمسئوليات الكبرى التي تتصل بأسرته الوطنية ثم بأسرته الإنسانية العامة.

(١) سورة الروم : آية "٢١ " .
(٢) سورة الفرقان : آية "٧٤ " .

وذلكم الرباط الذي يكون تلك المدرسة ليس شيئاً فيما نري ويري الناس غير الزواج ، ولعل أقرب ما يوحي بهذا المعني من كلام الله قوله تعالي (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)(١).

وقوله عز وجل :- (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (٢).

الزواج عهد وميثاق:-

لقد نظر القرآن الكريم إلي ما للزواج من هذه المكانة السامية في حياة الفرد والأسرة والأمة فنوه بشأنه ، ودفعه علي أن يكون عقداً تتم التزاماته بالإيجاب والقبول وشهادة الشهود، فجعله" ميثاقاً " يتحمل الضمائر التي تعرف معني الميثاق مسئوليته وتكافح في جهدها في سبيل المحافظة عليه والوفاء به مما قد يعترضه من شدائد وصعوبات .

ثم لا يكتفي بجعله ميثاقاً كيفما يكون ، يعتريه الرقة وخفة الميزان، فيتعرض للنقض كلما أراد عابث أو قانون ، بل جعله " يثاقاً غليظاً " يتعذر حله فيربط القلوب ويحفظ المصالح، ويندمج به كل من الطرفين من صاحبه، فيتحد شعورهما وتلتقي رغباتهما ويكون شخصه ماثلاً دائماً بين أعينهما، لا يمكن تناسيه ، ولا تقع الغفلة عنه حتى بعد انتهاء اجله.

ويقول الله عز وجل:- (وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْ) (٣).

الزواج وسلامة المجتمع من الانحلال الخلقي :-

بالزواج يسلم المجتمع من الإنحلال الخلقي، ويأمن الأفراد من التفسخ الإجتماعي، ولا يخفي علي كل ذي إدراك وبصيرة وفهم أن غريزة الميل إلي الجنس الآخر حين يتشبع بالزواج المشروع

(١) سورة النساء آية " ١ " .
(٢) سورة الحجرات أية " ١٣ " .
(٣)سورة النساء أية " ٢٠ " .

والإتصال الحلال تتحلي الأمة أفراداً وجماعات بأفضل الآداب وأحسن الأخلاق وتكون جديرة بأداء الرسالة ، وحمل المسئولية علي الوجه الذي يريده الله منها، وما أصدق ما قاله عليه الصلاة والسلام في إظهار حكمة الزواج الخلقية وفائدته الاجتماعية حتى كان يخص فئة من الشباب علي الزواج قائلا صلوات ربي وسلامه عليه:-

((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)).

وبالزواج يسلم المجتمع من الأمراض السارية الفتاكة التي تنتشر بين أبناء المجتمع نتيجة للزنا وشيوع الفاحشة والإتصال الحرام ومن هذه الأمراض (الزهري – وداء السيلان –ومرض الإيدز وغيرها) من الأمراض التي تنشر الوباء وتفتك بصحة الشباب.

تلكم هي أهم فوائد الزواج الذي دعا إليها الإسلام فبه تنمو روح المودة والرحمة والألفة بين الزوجين وبين الأسرة فحين يجتمع الرجل بأهله وأولاده ينسي الهموم التي تعتريه ، ويجد كل منهم في ظل الآخر مسكنه النفسي وسعادته الزوجية وصدق الله إذ يقول بأبلغ بيان وأجمل تعبير يقول تعالي(وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ)(١).

فلا عجب أن تري الشريعة الإسلامية قد أمرت بالزواج وحضت عليه ورغبت فيه ، فعلي الشباب ألا يستجب ((للزواج العرفي))بمفهومه الخاطئ والذي يضيع كافة حقوق الزوجة والأبناء، وإنما يجب على الشباب أن يرجعوا إلى الشريعة الإسلامية التي بينت الهيئة والكيفية التي يكون عليها الزواج الشرعي الذي يحفظ للزوجة والأطفال حقوقهم.

المبحث الثاني

الزواج العرفي

أسبابه – مشروعيته – عواقبه – مآسية – علاجه

الإسلام والزواج الصحيح:-

(١)سورة الروم أية " ٥١ " .

أكد الإسلام علي الزواج الصحيح الذي يتم في مناخ إجتماعي صحي تشعر فيه الفتاه بكرامتها، ويزهو الأب بأبنته التي صانت نفسها وعظمت قدر أسرتها،، ويشعر الزوج بأنه ارتبط بأسرة كريمة يفخر بنسبها، ويعتز بمصاهرتها لأن أبنائه سوف يرفعون رؤوسهم في مجتمعهم ويعيشون سعداء، لأن لهم أصولاً ثابتة وأسر كريمة يمتد بهم نسبهم، ويعلو في المجتمع أقدارهم، وهذا الزواج يتم علي النحو التالي:-

الخطبة:-

أن يتقدم الشاب إلي أهل خطيبته ويعلن رغبته بالزواج منها ويقوم أهله بزيارة أهلها، والتعرف عليهم بحيث تكون الأسرة متقاربة فكراً متأصلة في العلاقة التي تربط بينهما.

((وللخطبة مكانتها في الإسلام فهي من مقدمات الزواج وقد شرعها الله تعالي قبل الارتباط بعقد الزوجية ليتعرف كل من الزوجين علي صاحبه ويكون الإقدام علي الزواج علي بصيرة وهدي))(١).

تحديد المهر:-

احترم الإسلام المرأة وأعطاها كثيراً من الرعاية والعناية كشخصية لها قدرها في المجتمع، واعتني بها نفسها فقرر لها حقها في إعطاء المهر وتمليكه لها . بقوله تعالي:- (وآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا) (٢).

عقد القران:-

بعد ذلك يتم عقد الزواج وهو يعني الإيجاب والقبول المبنيان علي رضا الطرفين وتوافق إرادتهما في الإرتباط ويوثق هذا العقد في القسيمة الخاصة به علي يد من أذنت له الدولة بالتوثيق وهو ما يسمي " بالمأذون"

(١) نظام الأسرة في الإسلام أ . د / جبر حسن جبر صـــ ٥٠ .
(٢)سورة النساء أية " ٤ " .

إعلان عقد الزواج وإشهاره:-

بعد ذلك يتم الإعلان عن هذا الزواج وإشهاره، ويكون بما جرت به العادة فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي " صلى الله عليه وسلم " قال ((أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه الدفوف)).

وليس من شك في أن جعله في المساجد أبلغ في إعلانه والإذاعة به إذ أن المساجد هي المجامع العامة للناس ، وهي بيوت الله تعالي والتي يذكر فيها أسم الله في كل حين، وهذا كله فيه بركة للزوجين .

ماهية الزواج العرفي ،،، ماهيته ؟!

الزواج العرفي هو((اصطلاح حديث يطلق علي عقد الزواج غير الموثوق بوثيقة رسمية سواء أكان مكتوباً أم غير مكتوب))(١).

وهو يفتقد الولي والشهود أي أنه وسيلة لتبرير الزنا فهو ليس فيه عقد أو وثيقة تضمن حقوق المرأة أو الأولاد فيما بعد ويتم سراً بعيد عن أعين الناس ،،، ليس هناك أية حقوق او واجبات لأحد الزوجين علي الآخر لأنه مجرد نزوة جنسية.

أنواع الزواج العرفي،،، :-

١. الزواج العرفي ينقسم إلى عدة أنواع عرفها الناس جميعاً:

نوع يكون مستوفياً لأركان الإسلام وشروطه، وإذا تم علي هذه الصورة يكون عقداً صحيحاً شرعاً وتترتب عليه كل أثاره من حل التمتع وثبوت الحقوق لكل من الزوجين وللذرية الناتجة منه، وكذلك التوارث عند الوفاة وغير ذلك من الآثار دون الحاجة إلي وثيقه، توثيقاً رسمياً، وكان ذلك هو السائد قبل أن توجد الأنظمة الحديثة لتقييد العقود وسماع الدعاوي والفصل في المنازعات.

ويمكن إثبات هذا العقد أمام المحاكم بطرق الإثبات المعروفة، وكان للتوثيق الرسمي أهميته في حفظ الحقوق الزوجية ، ومنع سماع دعاوي الزواج الي يتم لأغراض سيئة(١).

(١) بيان للناس : جامعة الأزهر صـ ٢٢٣ .

ونوع لا يكون مستوفياً للشروط ويتم بعدة صور منها:
أن تجري صيغة العقد بين الرجل والمرأة دون شهود علي ذلك وهو الزواج السري ومنها أن يتم العقد أما الشهود ولكن لفترة معينة.
حكم الزواج العرفي عند بعض الأئمة:-
عند جمهور الفقهاء هو:-
الزواج بلا ولي وهو باطل شرعاً، أما أبو حنيفة فرأيه في هذا الموضوع "أنه يصحح العقد أولاً"، ويتوقف علي إجازة الولي في النهاية، وأما الزواج العرفي بلا وثيقة فهو غير صحيح عند الجمهور وإن وجدت فيه أركان العقد والشهود وذلك لأن الإشهار شرطاً أو عنصراً من عناصر صحة العقد.
عند المالكية هو الأخص من المذاهب:-
من المذاهبإن الزواج العرفي وعدم التوثيق يفقد عنصر الإشهار بحسب عرفنا في مجتمعنا، وبالتالي لا يتم عقد إلا بوجود ولي وهو الأخص أيضاً علي هذا المذهب " المذهب المالكي".
ويقول الدكتور/ نصر فريد واصل:
((إن الزواج العرفي لا يكون صحيحاً شرعاً في هذا الزمن الذي نحن فيه،والذي قَلَّ فيه الوازع الديني وكثرت فيه الفتن، وإنكار الشهادات التي يشهد بها الشهود، وشهادات الزور، وضياع الحقوق الزوجية، والنسب للحمل الذي ينشأ من هذا الزواج ، فلا يكون هذا الزواج صحيحاً ومشروعاً إلا إذا توافرت أركانه وشروطه الشرعية))(٢).
وبناء علي ذلك فإن أي عقد تتوفر فيه يُعتد شروط وأركان عقد الزواج الصحيح، لا يكون عقداً شرعياً صحيحاً ولا يعتد به شرعاً ويكون العقد بغير ذلك في حكم الزنا يوجب العقوبة التعزيرية بالنسبة للطرفين معاً وكذلك والشهود.

(١) نظام الأسر الإسلامية صـــ ١١٤ .
(٢) جريدة عقيدتي- باب فتاوي علي الإنترنت- صـــ : بتاريخ ٢٠ شوال ١٦/١٤١٩ فبراير ١٩٩٩م .

وهاتان الصورتان باطلتان بإتفاق مذهب أهل السنة لفقدان الإشهار في الصورة الأولى، ولتحديد العقد في الصورة الثانية، لأن المفروض في عقد الزواج أن يكون خالياً من التحديد بمدة ليتم السكن والاستقرار في الأسرة والشيعة يحكمون بصحة الصورة الأولي لأن الشهادة ليست شرطاً عندهم لصحة الزواج بل هي مستحيلة ، كذلك يحكمون بصحة الصورة الثانية لأنه يكون زواج متعة وهو صحيح عندهم (١).

الزواج العرفي ،،، هل هو مشروع أو لا ؟ !!

إن الزواج في الإسلام ليس مجرد شهوة جنسية طارئة، وإنما له أهداف سامية .

ويكفي أن عقد الزواج هو الوحيد الذي وصفه الله بأنهتعالى في القرآن الكريم ميثاق غليظ فقال :- "وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا" وقد يشترط فيه التأبيد، فإن اشترط أن يكون مؤقتاً يكون باطلاً ، ولابد أن يكون عقد منسلاً أي يهدف إلى الإنجاب، وهو نعمة من الله وطاعة له، ولابد أن تكون العشرة فيه بالمعروف حتى وإن حدثت مشكلة بين الزوجين .

والزواج العرفي الذي لا يكون مستوفياً لأركان وشروط الزواج الصحيح، " باطل ومحرم شرعاً " وذلك بإتفاق مذاهب أهل السنة، وذلك لعدم استكمال مقوماته .

وإذا كان الزواج العرفي مستوفياً لأركان وشروط الزواج الصحيح فهو علي الرغم من صحته واكتماله فهو "ممنوع"وذلك لأثاره التي لا يقرها المشرع، ففي صورة يتم استيلاء صاحبة المعاش أو المتمتعة بامتيازات أو معونات أو حقوق، علي غير حقها الذي لا تستحقه بالزواج، ومعلوم أن أخذ ما ليس بحق حرام ، فهو أكل الأموال بالباطل، وظلم لمن يدفع هذا الحق، أو لمن ضاع عليه حق بسبب مزاحمة الزوجة له وكل ذلك حرام.

ونتابع أيضاً شيخ الأزهر الدكتور / محمد سيد الطنطاوي رحمه الله:- ويقول " اتفق علماء الشرعية والقانون والإجتماع علي ضرورة تحريم الزواج العرفي لما فيه من ضياع لحقوق المرأة المترتبة علي هذا العقد وكذا ضياع حقوق الأبناء".

(١) بيان للناس- الجزء الثاني- جامعة الأزهر صـ ٢٢٣ .

أسبابالزواج العرفي

ومن الأسباب التي تجعل بعض الرجال والشباب يلجئونإلي الزواج العرفي وهي:-

رغبة الزوجة في الاحتفاظ بالمعاش الذي تعطيه الدولة لها لوفاة زوجها أو أبيها، وهي إن أعلنت زواجها قطعت الدولة عنها هذا المعاش.

رغبة الزوج في إخفاء هذا الزواج عن زوجة أخرى له ، وقد يكون له منها أولاد ويخشي تفكك هذه الأسرة، أو إنهيارها إذا علمت الزوجة بهذا الزواج.

رغبة الزوجة في إخفاء زواجها عن أولادها الكبار وأقرباء زوجها المتوفى خوفاً منالمتاعب التي تثور بسبب إعلان هذا الزواج .

بعض الشباب والشابات لا يجدون تكاليف الزواج، ولا يستطيعون الصبر حتى يغنيهم الله من فضله كما أمر في قوله تعالي

(وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(١).

أن يكون الزوج مغترباً ويخشي الانحراف بدون زواج لكن لو قيد رسمياً تترتب عليه مشاكل فيلجأ إلي الزواج العرفي.

بالإضافة إلي أسباب زاوج الشباب في الجامعات بالبنات عرفياً وأهمها:-

النزاع والشقاق بين الآباء والأمهات:-

إنه لمن العوامل الأساسية التي تؤدي إلي إنحراف الشباب وميله إلي ترك البيت القائم به، ويهرب من محيط الأسرة الموبوء من وجهة نظره ليفتش عن رفاق يقضي معهم كل وقته، ويُسْرِف في

(١) سورة النور : آية " ٣٣ " .

مخالطتهم معظم فراغه، فإن كانوا قرناء سوء، ورفقاء شر فإنه سيندرج معهم في الإنحراف وسيلجأ إلي الزواج العرفي.

حالات الطلاق وما يصاحبها من تفرق وتشرد:-

من الأسباب الأساسية التي تجعل الشباب يلجأ إلي الزواج العرفي والانحراف،حالات الطلاق وما يصاحبها من تشرد وضياع وما يعقبها من تشتت وفراق، ومن الأمور المعلومة التي لا يختلف فيها اثنان أن الولد عندما تتفتح عينيه علي الدنيا، ولا يجد الأم التي تحنو عليه، ولا الأب الذي يقوم علي أمره ويرعاه فإنه لا شك سيندفع إلي ما يحنو عليه فيلجأ إلي الزواج العرفي أحياناً وإلي الجريمة أحياناً أخري وبهذا يكون خطراً على المجتمع.

الفراغ الذي يتحكم في الشباب والمراهقين:-

من العوامل الأساسية التي تؤدي غالباً إلي الزواج العرفي عدم الإستفادة من الفراغ الذي يتحكم بعض الشباب والمراهقين، وأن الشاب منذ نشأته مولع باللعب وميال إلي المغامرة، محب للفسحة والتمتع بالمناظر الطبيعية فيكونوا في انحراف دائم وسوف يلجأون إلي الزواج العرفي.

الخلطة الفاسدة ورفاق السوء:-

من العوامل الكبيرة التي تؤدي ببعض الشباب إلي الزواج العرفي رفاق السوء، والخلطة الفاسدة، ولاسيما إن كان الشاب بليد الذكاء، ضعيف العقيدة، متميع الخلق، فسرعان ما يتأثر بمصاحبة الأشرار، ومرافقة الفجار، وسرعان ما يكتسب منهم أحط العادات وأقبح الأخلاق، وأحياناً يلجأ إلي الزواج العرفي!!.

مشاهدتهم أفلام الجريمة والجنس:-

من العوامل الكبيرة التي تجعل بعض الشباب يلجئ إلي الزواج العرفي وتدفعهم إليه، السير وراء الميوعة والإنحلال، وما يشاهدوه في دور السينما وعلي شاشة التلفزيون الغير مشفرة، والنت وغيرها

من الوسائل الحديثة من روايات بوليسية وأفلام خلاعية، وما يقرؤه من مجلات ماجنة وقصص مثيرة وهي بجملتها تثيرالغرائز وتشجع علي الزواج العرفي أحياناً، وإلي الإنحراف أحياناً آخري.

انتشار البطالة في المجتمع :-

من العوامل الأساسية التي تؤدي إلي تزوج الشباب عرفياً- انتشار البطالة في المجتمع، وطبقاته، فالأب الذي له زوجة وأولاد، ولم يتيسر له سبل العمل ، ولم تتأمن له طرق الكسب ولم يجد من المال ما يسد به جوعته، وجوعة أهله وولده، ويؤمن لهم حاجاتهم الضرورية ومطالبهم الحيوية، فإن الأسرة بأفرادها ستتعرض للتشرد والضياع، وشبابها سيندرجون نحو الزواج العرفي أحياناً وإلي الإجرام والإنحراف أحياناً أخرى.

تخلي الأبوين عن تربية أبنائهم:-

ومن العوامل الكبرى التي تؤدي بالشباب إلي الزواج العرفي تخلي الأبوين عن أبنائهم وتربيتهم وانشغالهم بأنفسهم، فإذا قصرت الأم في الواجب التربوي نحو أبنائها، وإذا أهمل الأب مسئولية التوجيه والتربية، فلاشك أن الأبناء سينشأون نشأة اليتامى، ويعيشون عيشة المتشردين،بل سيكونون سبب فساد وسيلجأون إلي الزواج العرفي .

الزواج العرفي ،، صيغته وكيفيته،، صورة وأحكامها:-

هناك العديد من الصور التي نراها في مجتمعاتنا للزواج العرفي وهي:

الصورة الأولي:-

" أن تقول المرأة للرجل "زوجتك نفسي" ، ويقول الرجل "قبلت" دون أن يحضرهما شهود ، ودون أن يعلن هذا الزواج،ودون أن يكتب وثيقة رسمية ، وهذا عقد باطل لفقد شرط صحته وهو الشهادة، ولعدم قيام ولي المرأة بعقد زواجها عند من يجعل الولي شرطاً في صحة عقد النكاح ويحرم علي الرجل أن يمس المرآة بمثل هذا العقد الذي اجمع الأئمة علي بطلانه وعدم صحته"(١).

(١) مجلة منير الإسلام صـــ ٤٤ العدد ٨ لسنة ١٩٩٥ يناير مقال د/ عبد الرحمن العدوى .

الصورة الثانية:-

شاب يقول لفتاه أنا " تزوجتك" فتقول : وأنا قبلت ومعهما اثنان من الأصدقاء يشهدان علي ذلك وقد أوصيا الشهود بكتمان هذا العقد وأخذ عليهما العهد بألا يذيعا أو يعلناه لأحد ، ولم يكتبا هذا العقد في وثيقة رسمية، وهذا العقد يري الإمام مالك أنه من "نكاح السر" الذي يجب فسخه لأنه عقد فقد شرط صحته وهو الإعلان ، ولا قيمة للشهود الذين تمت توصيتهم بكتمانه والرسول "صلى الله عليه وسلم" يقول" أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه الدفوف"(١). أما الإمام / الشافعي والإمام أحمد بن حنبل فيقولان ببطلان هذا العقد لعدم مباشرة الولي له إذ لا يجوز عندهما، وعند مالك كذلك: أن تباشر المرأة عقد نكاحها بنفسها للحديث الذي تريه السيدة عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيما إمرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحهاباطل)، وحديث أخر(لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل) وحديث (أيما عبدتزوج بغير إذن موليه وأهله فهو عاهر)(٢).

ويري الإمام أبا حنيفة عدم اشتراط الولي لصحة عقد النكاح وأن وجود الشهود يكفي لصحة هذا العقد ولو تمت توصيتهم بكتمانه، وليس هذا من نكاح السر الذي يحكم ببطلان، فكل سر جاوز الإثنين شائع .

والشاعر يقو :-

وسرك ما كان عند امرئ وسر الثلاثة غير الخفي

وبناء علي عدم اشتراط الولي في صحة عقد النكاح والإكتفاء في إعلان الزواج بحضور الشهود أن تعهدوا بكتمانه.

يقول أبو حنيفة أن هذا العقد صحيح وتترتب عليه أحكام الزواج من حل الاتصال ووجوب النفقة على الرجل ووجوب الطاعة علي المرأة، ونسب الأولاد وحقوقهم ،،،. " غير أن عدم كتابته في

(١) رواه أبن ماجه عن عائشة مرفوعاً بهذا أو هو حسن ورواه الترمذي وغن كان ضعيفاً عنده فغنه قد نوبع كما في ابن ماجه وغيره .

(٢)رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصحيحة وكذا صحيحة ابن حيان .

وثيقة رسمية من الوثائق التي أعدتها الدولة لذلك يضيع الحقوق ويهدد مصالح الزوجين في هذا الزواج ، ويخلق من المشاكل سنفصله في عواقبه ومآسيه ".

الصورة الثالثة :-

أن يتولى الطرفان " الرجل والمرأة " العقد بإيجاب وقبول مع حضور الشهود دون التوصية بكتمان هذا العقد غير أنه لم يكتب في وثيقة رسمية وهذا العقد باطل عند الأئمة الثلاثة "مالك، والشافعي، وأحمد " لعدم مباشرة الولي إياه، والولي شرط الصحة عقد النكاح عندهم.

أما أبو حنيفة فيقول :-

أن هذا العقد صحيح ويترتب عليه أحكامه الشرعية ، وهو العقد الشرعي الذي كان معهوداً بين المسلمين، فليس الولي شرطاً لصحة هذا العقد وإن كان الأفضل والأحسن أن يتولاه الولي دون المرأة، فالوالي شرط كمال، وليس شرط صحة عند الإمام أبي حنيفة.

بقي أن هذا العقد غير موثق في الوثيقة الرسمية التي أعدتها الدولة لصيانة الحقوق ومنع التجاحد وحماية للحياة الزوجية وحفظاً للأسر والأعراض من التلاعب وشهادات الزور من الذين لا يتقون الله ولا يخافون عقابه .

الزواج العرفي،، آثاره ومآسيه وعواقبه !!

إن الحوادث قد دلت علي أن عقد الزواج وهو أساس رابطة الأسرة، لا يزال في حاجة إلي الصيانة والإحتياط في أمره، فقد يتفق اثنان علي الزواج بدون وثيقة ثم يجحده أحدهما، ويعجز الآخر عن إثباته أمام القضاء " وقد يدعي الزوجية بعض ذوي الأغراض زوراً وبهتاناً، أو نكاية وتشهيراً أو إبتغاء غرض آخر، إعتماداً علي سهولة إثباتها ،، وقد يدعي الزوجية بورقة إن تثبت صحتها مرة لا تثبت مراراً "(١).

(١) الوجيز في نظام الأسر في الإسلام صـــ ٨٤ .

وبناء علي نصت عليه الفقرة الرابعة في المادة (٩٩) علي ما يأتي:-

" ولا تسمع عند الإنكار دعوى الزوجية أو الإقرار بها إلا إذا كانت ثابتة بوثيقة رسمية في الحوادث الواقعة من أول أغسطس سنة ١٩٣١م " (١).

وبهذا التشريع صار الذين يقدمون علي الزواج العرفي، ويلحقهم شيء من آثاره السيئة هم وحدهم الذين يتحملون تبعات ما يتعرضون له من هذه الآثار، كما يتحملون إثم ضياع الأسباب للأولاد، وحرمانهم من الميراث عند الإنكار ، وهم وحدهم المسئولون عن تصرفهم أمام الله وأمام الناس.

ومن العواقب والأضرار التي يظل تأثيرها في المجتمع والذي يلحق بالمرأة في الطلاق إذا ضارها، وفي الزواج من غيره إذا لم يطلقها، وكذلك حقها في النفقة علي الزواج إذا هجرها.

بالإضافة إلي ذلك فإنه يهدد الأمن الاجتماعي ويساعد علي انتشار الرذيلة، ولكن بصورة يعتقد البعض أنها شرعية، ولذا لابد أن نتخذ موقفاً للحفاظ علي الفتاة التي تقع في هذا الخطأ.

كيفية العلاج والوقاية من الزواج العرفي :

إن الزواج العرفي بما يترتب عليه من المفاسد لا يقدم عليه إنسان عاقل يستبرئ لدينه وعرضه مهما كانت الدواعي التي تزين له الوقوع في هذا الخطأ، فإن هذه الدواعي مهما بلغت قيمتها في نظرة لا قيمة لها أمام المخاطر والمفاسد التي تترتب علي هذا الزواج.

وفي سبيل علاج هذه الأسباب والدواعي التي قد يتعلل بها البعض لابد من تقوية الضمير الإيماني وخشية الله وحسابه حتى لا تفكر امرأة في " المعاش " الذي لا تستحقه، فإنها بذلك تأكل مالاً حراماً والرسول" صلى الله عليه وسلم" يقول: (كل لحم بنت من حرام فالنار أولي به).

وخير لها في دينها ودنياها أن ترضي بما ينفقه عليها زوجها الجديد وأن تهنأ نفسها بزوجية شرعية صحيحة موثقة لا ريبة فيها، ولا يظللها ظلام الكتمان من الظهور والإعلان.

والذين يخافون المتاعب التي تثور إذا أعلنوا زواجهم ووثقوه أقول لهم : إن ما تتوقعونه من متاعب الأولاد الكبار أو غيرة الزوجة الأولي أخف ضرراً وأقل فساداً مما تقدمون عليه من الزواج العرفي

(١) مجلة منبر الإسلام العدد ٨ سنة ١٩٩٥ صـ ٤٦ .

بما فيه فسادفي الدين والدنيا جميعاً ، وعليهم أن يواجهوا أمورهم مواجهة صريحة نتائجها مريحة، وأولي لهم أن يستجيبوا لأمر الله تعالي في قوله :- (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)(١).

وعلي أولياء النساء أن ييسروا علي الشباب والشابات أمر الزواج وأن يجعلوا سبيل الحلال معبداً للراغبين في زواج صحيح يتحقق فيه السكن والمودة والرحمة وابتغاء ما كتب الله لزوجين من الأولاد ،، وذلك بعدم المغلاة في المهور فقد قال رسول الله " صلى الله عليه وسلم " :((أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة)) وزوج سعيد بن المسيب أحد فقهاء المدينة السبعة ابنته بدرهمين وقال((لو أصدقها – أي لو دفع مهرها– سوطاً لحلت))

وغلا المهور يصد الراغبين في الزواج ويؤخر إعفاف الشباب ويغلق باب الحلال، ويغري بارتياد طرق الفساد، كما أن للأولياء النساء أن يختاروا لمن تحت ولايتهم الزوج صاحب الخلق والدين وألا يفضلوا علية صاحب المال ممن لا خلق له ولا دين عنده ، فإن المال يفني ويزول ، وصلاح الخلق والدين يبقي ويدوم ولا ينتج إلا خيراً .

وقد أمر الله المؤمنين أن يعملوا علي إعفاف الصالحين من عباده فقال جل شأنه :-

(وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ..... الخ) (٢)

وقال رسول الله " ﷺ " جاءكم من ترضون خلقه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير))

(١) سورة المادة : الآية " ٤٤ " .
(٢) سورة النور الاية " ٣١ ، ٣٢ " .

وإذا كان الأمر من تزويج من لا زوج له موجهاً إلي جميع المؤمنين فقد صار واجباً عليهم أن ييسروا أمر هذا الزواج علي الموسرين القادرين لأصحاب الأموال أن يجعلوا جزاء من صدقاتهم وزكاة أموالهم لمعاونة الراغبين في الزواج غير القدرين علي دفع المهور المناسبة من غير شطط ولا إسراف ، ولا تبذير في المظاهر الكاذبة والتجهيزات المرهقة وإعفاف الشباب.

وعلي الجمعيات الخيرية الإسلامية أن تجعل في نشاطها المساعدة علي تزويج الشباب والشابات والعمل علي تيسير سبيل العفة الإحصان لهم ولهن .

ونصيحتي للشباب المسلم أن يتقي الله دينه وعرضه فلا يلجأ إلي مواطن الريبة والشك ، ولا يفعل في الخفاء ما يستحي منه في العلانية ، وليستجب لقول الله تعالي :- (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا) سورة النور الآية " ٣٣"

وقال رسول الله " " . ((يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أعض للبصر وأحص للفرج ، ومن لم يستطع فعلية بالصوم فإنه وجاء))

وليكن الشباب علي يقين من وعد الله بتفريج كرب المتقين الطائعين الله ورسوله:-

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)(١).

هذا في سبيل معالجة الدواعي التي يتعلل بها البعض حين يقعون في حمأة الزواج العرفي، وهذه المعالجة تحتاج إلي أصحاب الضمائر الحية الذين يستجيبون لما أمر الله به، والذين لا يفرطون في دينهم من أجل شهواتهم، والذين يجاهدون أنفسهم ويحملونها علي الاستقامة والخضوع لأمر الله ورسوله ،فلا يرضون الدنيئة في دينهم ولا يشترون بعهد الله ثمنها قليلاً (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (٢).

(١) سورة الطلاق : آية " ٢"
(٢)سورة آلعمران : آية " ١٩٩ "

في النهاية فإن الرجوع إلي الحق خير من التمادي في الباطل، وأن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، ومن اتقي الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، فيجب علينا كي نجد من هذا الزواج العرفي أن نقوم بتغيير أنفسنا أبعدها عن طريق الشهوات الشيطانية إلي العبادات الخالصة لرب البرية، وأن نتقي الشبهات .

وفي نهاية هذا البحث الموجز، أسأل الله تبارك وتعالي أن يبعد عني وعن باقي الشباب والمسلمين جميعاً كل شيطان مريد، وأن ينور طريقنا بالصلاة والقرآن وعبادة الواحد الديان

وأخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين وصلي الله وسلم وبارك علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين.